

الشيخ العربي التبسي - رحمه الله - حربيا، مجاهدا وشهيدا

بقلم : محمد زغداني

المدير الفرعي للملتقيات والنشاط الثقافي

((إنه لم يعد من مصر، إلا لغاية الاضطلاع بالدعوة والإصلاح الديني، وقد فضل العودة إلى وطنه على المكوث في الأزهر الشريف، بعد أن عرض عليه شيخ جامع الأزهر بتوصية من أساتذته وشيوخه الأزهريين من نصب شيخ الفقه والأصول على المذهب المالكي، ولكنه رفض المكوث... وقرر العودة إلى بلده المحتل، المهزوم روحيا وحضاريا))⁽¹⁾.

أولا - نشاطه الوعظي والتربوي

يعتبر الوعظ والإرشاد أهم المجالات التي اختارها الشيخ العربي منهجا لإصلاح المجتمع، وقد اختار المساجد منطلقا له في ذلك، ورغم أنه تولى الإدارة والتدريس في مختلف المدارس والمعاهد

بعد رحلة طويلة في طلب العلم، دامت سبعة عشر عاما خارج الوطن من 1910م إلى 1927م، رجع الشيخ العربي التبسي إلى الجزائر.

ولم يكن خلال هذه الفترة منقطعا عن بلاده، فقد كان متابعا للأحداث التي تجري فيها، متألما للوضع المزري الذي تعيشه البلاد في ظل الاحتلال الفرنسي، وقد عاد الشيخ العربي التبسي قد تزود بسلاح العلم، من أجل أن يسهم في تحرير العقول من أسر الجهل، تمهيدا لتحرير البلاد من الاحتلال، وما كان منه إلا أن ينخرط في العمل الدعوي بكل أبعاده، فكانت له صولات وجولات.

ومنازلهم ومن المقاهي لصلاة الجماعة وسماع الدرس، وكانت دروس الشيخ في التفسير والحديث، يختار آية قرآنية أو حديثاً نبوياً فيفسرها تفسيراً بارعاً يخلب ألباب السامعين، فيرهم حكمة القرآن ومعانيه السامية، ويشعرهم حالوته... فيفتح القلوب بكلام الله... ثم يتسرب إلى الأمراض الاجتماعية فيشرحها، ويبين أسبابها وعواقبها الوخيمة في الدنيا وفي الآخرة...⁽²⁾.

وقد ((حاول الشيخ بمعية رجال الإصلاح بالمدينة - بعد أن غص المسجد بالرواد- الانتقال إلى الجامع العتيق، ولكن منائيه تدخلوا لدى الإدارة الفرنسية فمنع من التدريس في الجامع العتيق))⁽³⁾

((وأحسن المستعمرون المستبدون دروس الشيخ مَدَى مشحودة تمر على أوداجهم، فعزموا على إيقاف حركته، فضاعفوا مضايقته، فصبوا أنواع أذاهم على أنصاره... ولكن الشيخ

التعليمية، إلا أنه لم ينقطع عن دروس الوعظ والإرشاد، وقد بدأ نشاطه هذا بمسجد صغير بمدينة تبسة، وكان بعد انتقاله إلى مدينة سيق بالغرب الجزائري، يتجول بين مساجدها واعظاً وموجهاً، وكان له في مدينة تبسة بعد عودته إليها منبر خاص بالمسجد الحر الذي أسسه الخيرون بطلب منه، وكان له في قسنطينة دروس بالمسجد الأخضر الذي أسسته جمعية العلماء، ولم ينقطع عن الوعظ إلى آخر أيامه بمسجد بلكور بالجزائر العاصمة، التي انتقل إليها قبيل استشهاده.

دروس الوعظ والإرشاد بمسجد ابن سعيد:

بعد عودة الشيخ العربي التبسي إلى مدينة تبسة بدأ نشاطه الدعوي سنة 1927م، ((بتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد بمسجد صغير وسط المدينة، بني بجانب ضريح لرجل صالح يدعى «ابن سعيد»، وكانت دروسه بعد صلاة العشاء، فيسرع الناس من متاجرهم

ابتدائية للتربية الإسلامية، والعلوم الدينية والعربية، وأرسلت للشيخ عبد الحميد بن باديس ترجوه أن يختار لها من يقوم بالتربية والتعليم في مدرستها، ويثقف الجماهير في تلك النواحي بالوعظ الحي، ويقود الإصلاح في الغرب الجزائري، فاختار لهم الشيخ العربي التبسي⁽⁵⁾.

وقد كان انتقال الشيخ العربي التبسي لمدينة سيق سنة 1930م، ((فاستقبله الصفوة من أهل سيق استقبالا عظيما، وفرحوا به فرحا كبيرا، لقد وجدوا فيه بغيتهم لمدرستهم ومجتمعهم، لقد بهرهم بشخصيته القوية الناضجة، وبورعه وشدة تمسكه بالدين، وغيخته المتأججة عليه، وبعلمه الغزير، وذكائه الوقاد، وبفصاحته في دروسه، وشدة تأثيره في الناس، وبإخلاصه ونصحه في عمله، وحرصه الشديد على نهضة أمته))⁽⁶⁾.

لم يكتف الشيخ العربي التبسي بمجرد إدارة المدرسة الابتدائية

وأنصاره يصبرون للأذى، حتى رأى الشيخ أن الحكمة في وقوف القافلة ريثما تسكن العواصف النائرة والوحوش الكاسرة، وأن جو تبسة قد عكره الاستعمار عليه، وبقاؤه فيها خطر عليه وعلى الإصلاح، فتفاوض مع الشيخ عبد الحميد بن باديس - رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر- في الأمر، فأشار عليه بالذهاب إلى مدينة «سيق» قريبا من مدينة (وهران) - في الغرب الجزائري- ليرفع راية الإصلاح في غرب الجزائر، بعد أن رفعها في شرقها... ودام جهاد الشيخ العربي في تبسة نحو عامين؛ من عام 1927 إلى آخر عام 1929م))⁽⁴⁾.

إدارة مدرسة (سيق) الابتدائية:

((كانت (سيق) من المدن السبابة إلى النهضة في الناحية الغربية في الجزائر... فأنشأت فيها صفوتها الخيرة جمعية خيرية ثقافية تعمل لصالحها، وتبث الثقافة العربية الإسلامية فيها وفي نواحيها، فأنشأت في سيق مدرسة

1. تأسيس جمعية خيرية
 2. ثم بناء مدرسة عربية إسلامية حرة.
 3. بناء مسجد جامع حرمن سيطرة الإدارة الفرنسية وأتمتها الموالين لها⁽⁹⁾.
- فرجع في عام 1932م إلى تبسة، وأنشأ المصلحون في هذا العام مدرسة للشيخ العربي في دار واسعة للسيد الحاج الحواس - وهو أحد الخيرين المصلحين في مدينة تبسة -، وأثثوها بالأثاث العصري اللازم، وجعلوا مع الشيخ العربي أربعة معلمين من تبسة يتولون تعليم الصغار والمتوسطين، وكان الشيخ العربي مدير المدرسة ومربيها البارح الحكيم، يلقي دروسا في العربية والدين على تلاميذها الكبار، لما ضاقت المدرسة بالتلاميذ، أنشأ المصلحون في تبسة جمعية تهذيب البنين والبنات⁽¹⁰⁾، وأسسوا ((المدرسة والمسجد الجامع، وبنوا بأعلاها سكنى الشيخ، ومن يومها تولى إدارة المدرسة

والتدريس فيها فقد كان ((يلقي دروسه في سيق ونواحيها، في المساجد الحاشدة، وفي الولايم التي يقيمها له الخاصة في سيق والمدن والقرى التي يزورها))⁽⁷⁾.

وكانت مدة جهاده في سيق ((عامين من أول عام 1930م إلى نهاية عام 1931م))⁽⁸⁾.

1. إدارة مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة

((لما غادر الشيخ العربي مدينة تبسة، أقفرت وأظلمت وسادها الركود، فساء ذلك المصلحين فيها، فأرسلوا وفداً إلى مدينة سيق، بعد مرورهم على الشيخ عبد الحميد بن باديس مستأذنين، معتذرين للشيخ العربي، ومرغبين له ضرورة العودة إلى تبسة ببلدته، حيث أهله وعشيرته، وأين ستجد مجهوداته التربوية والتعليمية والدعوية صداها، فاشترط لعودته لتبسة ثلاثة شروط قبلوها مباشرة، وهي:

فكان إنشاء هذا المعهد اعترافاً بفضل ابن باديس وأطلقت عليه اسمه، فصار خريجو المدارس الابتدائية لجمعية العلماء وغيرهم يلتحقون بهذا المعهد، فيجدون فيه ما تريد الأمة الجزائرية لأبنائها من تربية دينية وتعليم عربي صحيح، وقد اختارت الجمعية لإدارته ونفخ الروح الدينية فيه جماعة من أفاضل إدارتها، وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي، لفضله وكفاءته وخبرته الطويلة، فانتقل إلى مدينة قسنطينة في هذا العام وترك أسرته في تبسة⁽¹³⁾.

«وظل الشيخ العربي مديراً للمعهد طيلة عقد من الزمان... إلى حين غلق الإدارة الاستعمارية لمدارس الجمعية عامة، ولمعهد عبد الحميد بن باديس يوم 11/ 21 1956م، وتشتت طلابه، ومنها انتقل الشيخ إلى الجزائر العاصمة⁽¹⁴⁾.

ثانياً - نشاطه الدعوي من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وإمامة الجامع، وظل الشيخ مدرساً وواعظاً وإماماً ومفتياً ومرجعياً دينية وعلمية وتربوية وأخلاقية لأهل تبسة، وقد ضمت المدرسة في صفوفها الابتدائية ما يقارب خمسمائة تلميذ، ومنها تخرج رجال الإصلاح والسياسة والثورة بتبسة⁽¹¹⁾.

و«ظل الشيخ طيلة تلك الفترة مديراً ومعلماً في النهار بالمدرسة، وإماماً وخطيباً وواعظاً في الليل في الجامع... إلى أن ترك التدريس وإدارة المدرسة سنة 1947م»⁽¹²⁾.

إدارة معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة

أنشأت جمعية العلماء معهد ابن باديس الثانوي «في مدينة قسنطينة سنة 1947م، وكان إنشاء المعهد الثانوي للتربية الدينية وللعلوم العربية والشرعية، أمنية قديمة في نفوس جمعية العلماء، سيما بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، فتوقف معهده الذي كان ابتدائياً وثانوياً،

هذه الأمة أو كادت، باضمحلال وحدتها وتفكك جماعتها...»⁽¹⁵⁾.

ولهذا كان الشيخ العربي التبسي من أول المستجيبين لنداء الشيخ عبد الحميد بن باديس لتأسيس هيئة تجمع العلماء في الجزائر، عام 1928م حيث «وجه دعوته إلى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي، الذين رأى فيهم مقدرة واستعدادا للعمل في سبيل الدين والوطن،»¹⁶ وقد سمي هذا الاجتماع بجمعية الرواد، وقد كان تمهيدا لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م.

وقد اضطلع الشيخ العربي التبسي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمهام وأدوار جسيمة، وذلك منذ تأسيسها، إلى أن وافته المنية، وهو ثابت على عهدها.

المساهمة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ساهم الشيخ العربي التبسي في

لقد كان من أمانى الشيخ العربي التبسي تأسيس جمعية أو هيئة تجمع العلماء والدعاة العاملين على ساحة الدعوة، وذلك لإدراكه أن العمل الجماعي أجدى وأنفع من العمل الفردي، وقد أدرك هذا من خلال احتكاكه بالدعاة والمصلحين خلال سنوات دراسته بتونس ثم بمصر، ولهذا كتب في مجلة الشهاب في عددها الواحد والثلاثين الصادر في 17/06/1926م، مقالا تحت عنوان «أزفت ساعة الجماعة وتَصَرَّم عصر الفرد»، ومما جاء فيه ((فإن هذا العصر عطل الفرد، ونبذ حكمه، وأمات مفعوله، وتجاهل وجوده، فأينما أملت سمعك، أو أرسلت نظرك في الشرق أو في الغرب، لم تجد إلا أمة، فحزبا، فهيئة، منها وإليها كل شيء... كل هذا في جملته بديهي، ولكن الأمة الجزائرية الشرقية الإسلامية صرفت عن هذا الميدان الذي هو السور الفاصل بين الممات والحياة فهلكت

أ- عضوية المجلس الإداري:

((بطلب من العلماء الحاضرين في جلسات المجلس الإداري للجمعية المنعقدة يومي 18 / 19 محرم 1350 هـ الموافق 27 / 28 سبتمبر 1932 م، ترشح الشيخ العربي التبسي لعضوية المجلس الإداري، وانتخب نائبا للكاتب العام))⁽¹⁹⁾.

ب- انتخابه كاتباً عاماً للجمعية:

وقد كان ذلك «في الجلسات العادية للجمعية المنعقدة في 12/11 رجب 1355 هـ الموافق 27/28 سبتمبر 1936 م... وظل الشيخ يشغل منصب الكاتب العام للجمعية إلى غاية سنة 1946 م»⁽²⁰⁾.

ج- انتخابه نائبا للرئيس:

وقد كان ذلك خلال اجتماع «أعضاء الجمعية في دورتهم العادية أيام 27 / 28 / 29 سبتمبر 1946 م، حيث انتخبوا مجلساً إدارياً جديداً للجمعية، نال الشيخ العربي فيه

تأسيس الجمعية، حيث «دُعِيَ لحضور جلسات الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بنادي الترقى بالجزائر يوم الثلاثاء 05/05/1931 م الموافق 17 ذي الحجة 1349 هـ، ولم يرشح نفسه لعضوية المجلس الإداري للجمعية في جلستها التأسيسية لاعتبارات عديدة أهمها:

1. رغبته في إفراح الفرصة للعلماء الآخرين.

2. زهده في طلب المناصب.

3. تفويت الفرصة على الأعداء، والمتريصين بنجاح تأسيس الجمعية، «17 حيث كان غير مَرْضِي عنه لدى الإدارة الفرنسية»⁽¹⁸⁾.

العضوية في المجلس الإداري للجمعية

بعد مرور عام واحد على مساهمته في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تبوأ الشيخ العربي التبسي عدة مناصب فيها، وهي على التوالي:

ثالثا - نشاطه الصحفي

كان الشيخ العربي التبسي من الأعلام القوية الأثر، التي كانت تملأ مقالاتها الصحف والجرائد العربية التي كانت تصدر في الجزائر إبان فترة الاحتلال الفرنسي، وقد بدأ نشاطه الصحفي من سنة «1342هـ-1924م إلى سنة 1377هـ-1957م»⁽²⁴⁾، فكتب «في مجلة الشهاب وجرائد جمعية العلماء، سيما البصائر، داعيا إلى الإصلاح مدافعا عن الدين، شارحا لفلسفة الإسلام، مطالبا بحقوق الأمة، ومهاجما للاستعمار وأذنا به بأسلوب قوي لا يخاف في الله لومة لائم»⁽²⁵⁾.

و«لم يؤلف الشيخ العربي التبسي كتابا، لأنه أعطى نفسه للإصلاح، فوقته في ليله ونهاره عامر بما يشغله عن التأليف»⁽²⁶⁾، فقد كان مثل أقرانه من الدعاة والمصلحين، منشغلا بإعداد الرجال عن تأليف الكتب، غير أن مقالاته المنشورة هنا وهناك كانت محل اهتمام الباحثين، فقد جمع له

منصب نائب الرئيس، وقد دام ذلك إلى غاية 07/03/1952م، وهوتا ريخ رحيل الشيخ البشير الإبراهيمي - رئيس الجمعية آنذاك- إلى المشرق العربي»⁽²¹⁾.

ومما اهتم الشيخ العربي التبسي خلال هذه الفترة، إرسال بعثات من الطلبة إلى البلاد الإسلامية من أجل طلب العلم، وقد كان «المسؤول عن إعداد قوائم الطلبة النظاميين والأحرار المقبولين في بعثات جمعية العلماء إلى البلدان العربية بعد دراسة طلباتهم المترشحين حالة بحالة»⁽²²⁾.

د- الرئاسة الفعلية للجمعية:

ظل الشيخ العربي يشغل نائب رئيس الجمعية إداريا، ولكنه كان الرئيس الفعلي، وذلك بعد رحيل رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي... إلى أن أوصل الجمعية إلى حل نفسها يوم 07/01/1956م كي لا تتورط مع الإدارة الاستعمارية في المفاوضات الاستسلامية⁽²³⁾.

كان من العلماء خلال فترة احتلال فرنسا للجزائر من هادن المحتل ودخل تحت رايته على أنه قدر محتوم، بل كان يُفَسِّق وَيُبَدِّع من يقوم بالمقاومة والجهاد، بدعوى أن فرنسا من قدر الله ومن حاربها فإنه يحارب قدر الله، وهم الطريقون الذين وجدوا كل الدعم من المحتل الفرنسي من أجل تخدير الشعب، وتخليه في جهاده ضدها، ففتحت لهم المساجد التي كانت تسيطر عليها، وكانت تدفع رواتبهم، وتعاملهم معاملة خاصة، كما كانت زوايا الدجل والشعوذة التي تشجعها فرنسا، تلعب دورا هاما في شغل الناس بالخرافات التي تلهيهم عن مقاومة المحتل الفرنسي.

كما كان من العلماء فئة أخرى، وهم أعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر، الذين أخذوا على أنفسهم عهدا بإيقاظ الشعب من سباته، من أجل مقاومة المحتل الفرنسي، الذي كان يعمل على سلخ الجزائر من هويتها

الدكتور أحمد الرفاعي شرفي مجموعة من المقالات والخطب والفتاوى، نشرها في كتاب من جزئين تحت عنوان «مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر»، كما جمع الدكتور أحمد عيساوي آثار الشيخ العربي التبسي، ونشرها في كتاب من 573 صفحة من القطع الكبيرة تحت عنوان «منارات من شهاب البصائر»، في إشارة إلى المجلات التي كان الشيخ العربي التبسي ينشر فيها مقالاته وهي: المنار، الشهاب والبصائر، وقد بَوَّب الدكتور أحمد عيساوي آثار الشيخ العربي التبسي وصنفها حسب جنسها الأدبي، فكان منها: الدراسات والأبحاث، المقالات، الخطب والدروس، الفتاوى، الاحتجاجات والردود، التقارير والبيانات، وغيرها مما خلفه الشيخ العربي التبسي من آثار مكتوبة.

رابعا - جهاده ضد المحتل الفرنسي

ضخما، ذلك أنه رفض كل إغراءاتهم وتهديدهم، بل وأذلهم بعزة المؤمن أكثر من مرة، وكل ذلك يزيد من حقدهم ورغبتهم في الانتقام منه وإيذائه، ومع كل ذلك صمد...⁽²⁷⁾.

ويتضح جهاد الشيخ العربي التبسي ضد المحتل الفرنسي من خلال ما يلي:

علاقته بالمجاهدين

لما اندلعت ثورة التحرير في الجزائر في 01/ 11/ 1954، كان الشيخ العربي التبسي من أبرز المشجعين لها، وقد كان على علاقة وطيدة بالمجاهدين، مشجعا لهم ماديا ومعنويا، «بالدعاء لهم في صلواته وخلواته، والدعوة للجهاد في مجالسه الخاصة ومن يثق بهم من العامة، يدعوهم للجهاد بالنفس والمال وكل القوى، وكان يجمع الأموال للثورة، وكان كثير من الناس لا يتبرعون للثورة إلا على يديه لثقتهم به، واستجابتهم لدعوته»⁽²⁸⁾.

العربية الإسلامية، وقد كان شعار هؤلاء المصلحين (الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا)، وهو الشعار الذي رفعته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد كان الشيخ العربي التبسي من أبرز العلماء الداعمين للجهاد ضد المحتل الفرنسي، الساعين إلى إيقاظ همم الجزائريين، ومما يذكر في ذلك أنه خلال أحد دروسه بالمسجد سأل أحد المصلين أن يقص عليهم قصة «السبع نيام»، ويقصد بها قصة أصحاب الكهف، فagتنم الشيخ الفرصة من أجل أن ينبه الحاضرين إلى حال الشعب الجزائري آنذاك، فقال له في لهجة ساخرة: ((أنا لا أعرف قصة السبع نيام، ولكنني أعرف قصة السبع ملايين نيام))، وكان تعداد الجزائريين آنذاك سبع ملايين.

لقد كان الإمام يعلم أنه سيعتقل، وكان يعلم أن الاعتقال أثناء الثورة معناه التعذيب حتى الموت، وكان يعلم أنه صيد ثمين بالنسبة للأعداء، وهدفا

في صحتي وشبابي ما زدت يوما واحدا في المدينة، أُسرِع إلى الجبل، فأحمل السلاح فأقاتل مع المجاهدين»⁽³⁰⁾.

مواقفه الصلبة ضد المحتل الفرنسي

عرف الشيخ العربي بحدته وشدة مواقفه تجاه المستعمر الفرنسي، «فهو لا يعرف في سبيل التمسك بالحق أي مهادنة أو مساومة أو محاباة، وأفتى المجاهد (لزهري شريط) - وهو أحد قادة ثورة التحرير بمنطقة تبسة - بوجوب مقاتلة المستعمرين قبل اندلاع الثورة، الأمر الذي دفع المجاهد الشهيد (لزهري شريط) إلى نصب كمين لقائد فرقة الدرك بالشرية عند تنقله يوم 17/ 10/ 1954 قبل اندلاع الثورة بأيام قليلة، وقتله مع ستة من الدركيين الفرنسيين الذين حُملوا بجراحهم البليغة إلى مستشفى تبسة»⁽³¹⁾.

«واستمر الشيخ في نهجه الثوري المعادي للاستعمار يخطب في المجمع العامة والمجالس الخاصة، وفي

وقد «كان الشيخ العربي شديد الاهتمام بالثورة، يتتبع سيرها، ويتصل بكثير من قادتها في الجبال والمدن، وممن كان وثيق الصلة به البطل الشهيد القائد عميروش، وكان عميروش يعد الشيخ التبسي وأعلام الإصلاح مشايخه، فأرسل عميروش من جبال القبائل رسوله إلى الشيخ العربي وهو في الجزائر العاصمة يخبره بأنباء الجهاد، ويسأله وصية يتبعها في جهاده، وكانت الأيام عصيبة والمعارك على أشدها في جبال القبائل... فلم يجد الشيخ وقتا لكتابة الوصية، وخاف التفتيش الشديد في المدن والطرق، فيعثر العدو على الرسالة، فسلم لرسول القائد عميروش مصحفا صغيرا، فقال له: بلغه سلامي ودعواتي، وابتهاجي العظيم بجهادهم وانتصارهم، وقل له: هذا المصحف الشريف هو وصيتي له»⁽²⁹⁾.

ومن شدة حبه وشغفه وتأيينه للثورة الجزائرية كان يقول: ((لو كنت

اللطيف سلطاني من القنطرة، والشيخ محمد الصالح بن عتيق من ميله، فظهر عليه شيء من التعجب لاجتماع شخصيات من جهات مختلفة، فوجه سؤالاً في غطرسة وكبرياء: من أين أنتم وإل أين تتجهون؟ فأجاب الشيخ العربي: جئنا من العاصمة ومتوجهون إلى شرق البلاد. فقال الضابط: ما أتى بكم إلى الجزائر وأنتم من الشرق؟ فأجابه الشيخ على الفور: ليس من العجب أن نأتي إلى الجزائر وهي بلادنا، ولكن العجب أن يأتي إليها قوم ليسو منا. فطأطأ الضابط رأسه وأشار في عنف إلى السائق بالمسير⁽³³⁾.

كما أن موقف الشيخ العربي التبسي من الهجرة خارج الجزائر خلال ثورة التحرير كان واضحاً، فقد قال لجلسائه خلال شهر يناير سنة 1957م... انقلوا عني وبلغوا كل من لقيتم ممن تعرفون أن كل هجرة من الوطن إلى خارجه تعتبر مروقاً من الدين، وخيانة للوطن، ما لم تكن

الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية. . وتحت عنوان «هنا يموت قاسي» رد الشيخ على المخذلين والمثبطين الذين نصحوه بوجوب التريث والتعقل وعدم التسرع والانتظار عما تسفر عنه الجولة بين الثوار وفرنسا، مصدراً فتواه سنة 1956م القضية بوجوب الجهاد في سبيل الله ومقاتلة الفرنسيين المعتدين⁽³²⁾.

ومما يذكر من مواقفه الصلبة تجاه المستعمر الفرنسي «ما حدث له مع الدرك الفرنسي بمدينة البويرة سنة 1955م... حيث أوقفوا السيارة التي كان يمتطيها هو وصحبه، وطلبوا من ركبها تقديم أوراق التعريف، فأخذوها وذهبوا بها إلى إدارتهم ولم يعودوا بها في الحال... فقال الشيخ لأحدهم: قل لأصحابك يعيدوا أوراقنا فنحن في سفر، وليس معنا وقت نضيعه هنا... فجاء الضابط يحمل الأوراق يقرأها ويتعرف على أصحابها، وهم الشيخ العربي التبسي من تبسة، والشيخ عبد

الاستعمار، وأقوى لهجة في الهجوم على مظالمه، فاعتقلته مرارا،⁽³⁶⁾ ففي «سنة 1943 أُلقي عليه القبض وسيق إلى السجن حيث قضى حوالي ستة أشهر بين تازولت وقسنطينة... وفي سنة 1945 أُلقي عليه القبض مرة ثانية حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية ونقل إلى عدة أماكن منها سجن المدية والمشرية»⁽³⁷⁾.

1. حادثة اختطافه

مع تصاعد وتيرة ثورة التحرير في جهادها ضد المستعمر الفرنسي، تصاعدت وتيرة رد هذا الأخير على الثورة، محاولا إخمادها بكل الوسائل، ومن ذلك اغتيال رموز الأمة من علماء ومصلحين، «من أمثال الأمين العمودي، وأحمد رضا حوحو، وأحمد بوشمال، وغيرهم ممن اغتالهم الأيدي الاستعمارية في ظروف غامضة»⁽³⁸⁾.

ورغم كل هذه الظروف رفض الشيخ العربي نصيحة أصدقائه

في مهمة كلفت بها جهة التحرير، وكل من خالف يعتبر من مشمولات الآية الكريمة التي جاء فيها: ﴿يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُمْ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^{(34) (35)}.

خامسا - استشهاد

1. موقف المحتل الفرنسي من الشيخ العربي التبسي

كان الحكام الفرنسيون المستعمرون في الجزائر يعرفون عداوة أعلام الإصلاح لدولتهم الظالمة التي تستذل الجزائر... وتحارب دينها ولغتها العربية، وتشدد الخناق على المصلحين... تحاربهم بشدة وتنزل عليهم أنواع الظلم، وتعمل جاهدة للقضاء على نهضتهم، وكانت تعلم شدة حب جمهور الأمة الجزائرية لأعلام الإصلاح... وكانت شديدة الخوف منهم، يحسبون لهم ألف حساب... وكان الشيخ العربي التبسي أكثر ثورة على

واختفائه، فأنكر أن تكون له علاقة بعملية اختطافه واختفائه، وقال له: لقد هربه الثوار إلى تونس أو إلى مصر وأتيتني للتبرير؟ لا علم لي به، بل أنت أخبرني أين اختفى وذهب... ولما قابل محمد الأمين الرئيس الفرنسي (ديغول) بباريس، الذي أحسن استقباله وقال له بالحرف الواحد: لا علم لي بما يدور في الجزائر»⁽⁴¹⁾.

استشهاد

اختطف الشيخ العربي التبسي من طرف المستعمر الفرنسي، واستشهد رحمه الله ولا يعلم له قبر إلى اليوم، وتضاربت الأقوال في طريقة استشهاد، غير أنه من المعلوم خلال فترة الاستعمار، أن كل من يتم اختطافه يمر على عنبر التعذيب أولاً، لتؤخذ منه اعترافات أو معلومات عن المجاهدين، أو يلين جانبه للاستعمار فيستخدم لمقاومة الثورة، فإذا استنفذت كل جهود التعذيب قتل ودفن حيث لا يعلم أحد.

والمقربين له ممن يحبونه بالرحيل خارج البلاد، قائلاً: ((لئن أقطع إرباً إرباً في ساحة الجهاد، خير لي من أن أموت على سرير من ذهب في أرض الفرار... لو فررنا نحن العلماء من ساحة المعركة من سيبقى فيها؟ ماذا نقول لله ولرسوله ولصحابته عن فرارنا من ملاقات العدو؟.. أين نرفع رؤوسنا أمام العالم إذا فرعلمائنا؟ ماذا تقول الأجيال اللاحقة عنا، الفارون يوم الزحف؟))⁽³⁹⁾.

وفي الرابع من شهر رمضان سنة 1376 هـ الموافق 04/04/1957م، في الساعة الحادية عشر ليلاً، داهمت قوة خاصة من الجيش الفرنسي دار الشيخ العربي التبسي الكائنة بحي بلكور بالجزائر العاصمة، واقتادوه في لباس النوم حافي القدمين إلى حيث لا يعلم أحد،⁽⁴⁰⁾ ولم يُرمنذ ذلك اليوم، وفي اليوم الموالي ذهب ابنه الأكبر محمد الأمين إلى الحاكم الفرنسي (روبرت لاكوست) يسأله عن أبيه

منه الاعتراف وقبول التفاوض وتهدة الثوار والشعب، والشيخ يردد بهدوء كلمة الشهادة، ثم وُضع من قدميه في القدر فأغمي عليه، وكانت آخر كلمة تلفظ بها رحمه الله (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثم أنزل شيئاً فشيئاً إلى أن أدخل بكامله فيها فاحترق وتبخر وتلاشى...»⁽⁴²⁾.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

الهوامش:

- (1) - أنظر أحمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، 207-208.
- (2) - أنظر محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، 2، 21-22.
- (3) - الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، منارات من شهاب البصائر، 53.
- (4) - أنظر محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، 2، 24.
- (5) - أنظر المصدر نفسه، 2، 25.
- (6) - المصدر نفسه، 2، 27.

ولعل الشيخ العربي التبسي لم تشذ حالة اختطافه عن هذه القاعدة، إذ «يروى الرائد أحمد الزمولي وهو أحد مجاهدي منطقة تبسة، أن صديقين له في الجيش الجزائري بعد الاستقلال، كانا ممن جُند إجبارياً في صفوف الجيش الفرنسي، ثم هربا منه بعد أن أُشركا في حادثة اختطاف الشيخ العربي التبسي، وأنهما حضرا أحداث تعذيب الشيخ العربي التبسي، وطريقة استشهاده، فبعد أيام من التعذيب، جاء يوم الشهادة، حيث أعدت للشيخ قدر كبيرة مليئة بزيت السيارات مخلوط بالإسفلت الأسود، وأوقدت النيران من تحتها إلى درجة الغليان، والجنود يقومون بتعذيبه دونما رحمة، وهو صابر محتسب. ثم طلب منهم القائد الفرنسي الدموي (لاقيارد) حمل الشيخ العربي، وكان عاري الجسد فحملة أربعة من الجنود، وأوثقوا يديه ورجليه ثم رفعوه فوق القدر المتأججة، وطلبوا

- (7) - المصدر نفسه، 2، 28.
- (8) - المصدر نفسه، 2، 29.
- (9) - أنظر أحمد عيساوي، مدينة تبسة و أعلامها، 198-199.
- (10) - أنظر محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، 2، 30-31.
- (11) - أنظر الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، منارات من شهاب البصائر، 54-55.
- (12) - أنظر أحمد عيساوي، مدينة تبسة و أعلامها، 201.
- (13) - أنظر محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، 2، 48-49.
- (14) - أنظر الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، منارات من شهاب البصائر، 56.
- (15) - الشيخ العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وعليق أحمد الرفاعي شرفي، قسنطينة، دار ابعث، ط1، 1402هـ/1981م، جزءان (2)، 1، 52.
- (16) - أحمد عيساوي، مدينة تبسة و أعلامها، 205.
- (17) - الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، منارات من شهاب البصائر، 60.
- (18) - محمد حاج عيسى، الشيخ العربي التبسي وأصول دعوته الإصلاحية السلفية، د ن، ط1، 1430هـ/2009م، 64 صفحة، 24.
- (19) - أنظر أحمد عيساوي، مدينة تبسة و أعلامها، 208-209.
- (20) - أنظر المصدر نفسه، 209-210.
- (21) - أنظر المصدر نفسه، 211.
- (22) - بشير كاشة الفرحي، إمام المجاهدين الشهيد الشيخ العربي التبسي، الجزائر، دار لأفاق، 2004، 120 صفحة، 28.
- (23) - أنظر الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، منارات من شهاب البصائر، 62 - 63.
- (24) - أنظر المصدر نفسه، 20.
- (25) - محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، 2، 53.
- (26) - المصدر نفسه، 2، 55.
- (27) - الشيخ العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، 2،

12. (39) - الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي،
منارات من شهاب البصائر، 66.
- (28) - أنظر محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح
في الجزائر، 2، 68.
- (29) - أنظر المصدر نفسه، 2، 68.
- (30) - المصدر نفسه، 2، 69.
- (31) - أنظر الشيخ العربي بن بلقاسم
التبسي، منارات من شهاب البصائر، 65.
- (32) - أحمد عيساوي، مدينة تبسة و
أعلامها، 215.
- (33) - أنظر محمد حاج عيسى، الشيخ
العربي التبسي وأصول دعوته الإصلاحية
السلفية، 44-45.
- (34) - سورة الأنفال، الآية 16.
- (35) - أنظر الشيخ العربي بن بلقاسم
التبسي، منارات من شهاب البصائر، 66.
- (36) - أنظر محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح
في الجزائر، 2، 45.
- (37) - أنظر بشير كاشة الفرحي، إمام
المجاهدين الشهيد الشيخ العربي التبسي،
12.
- (38) - أنظر أحمد عيساوي، مدينة تبسة و
أعلامها، 221.